في الشهوات كل مذهب فلم يعتن بكبح جماحها ثم انصرف في أوقات الفراغ الى تعاطي بنت الحان وما تجره وراءها من طرق الغواية لان الحرة كما وصفها بعضهم « ام الكبائر والصغائر » وذلك جميعه مما أدى الى قصف غصن حياته الرطيب في ريعان الشباب ! فقد توفي في التاسعة والعشرين من عمره . ولو سار سير التعقل والاعتدال لعاش طويلا واستطاع خدمة وطنه وأهله ولم يدفن تلك المواهب في الرمس . ولعلّ في ذلك عظة وعبرة للشبان الذين يطوّحون بأنفسهم في مرابض الحانات التي تقودهم الى ارتكاب الموبقات . وفوق كل ذي علم عليم

---

١٥٠ عاما لاستقلال الولايات المتحدة

في أميركا الشمالية

(من سنة ١٧٧٦ لسنة ١٩٢٦)

لم تزل على قيد الحياة الى اليوم في فرنسا امرأة شمطاء تدعى « مدام هايار » وقد حضرت بنفسها الاحتفال الفخم الذي أقامه الفرنسيون للجنرال « لافايت » الفرنسي لدى رجوعه من الولايات المتحدة الى فرنسا مكللا بتاج النصر والفخار بعد نهاية تلك الحرب التي بذل فيها الاميركيون ضد انكلترا كل مرتخص وغال لديهم في سبيل حريتهم واستقلالهم . ومما لا يحتاج الى ايضاح ان هذه العجوز بلغت من العمر عتياً أو ماتت

جورج واشنطون

رجال النوراة المشهورين بطول اعمارهم وبعبارة أخرى أنها عاشت نحو قرنين . واذا ألقينا نظرة المفكر البصير نرى ان تطورات عظيمة قد حدثت في العالم خلال هذه المدة البالغة ١٥٠ عاماً ولاسيما في أميركا التي هي موضوع كلامنا في هذه العجالة .

فانه عند ماحارب « لافاييت » تحت قيادة « واشنطون » سنة ١٧٧٦ كانت الولايات المتحدة عبارة عن ١٣ مستعمرة انجليزية صغيرة غير مرتبطة ببعضها ارتباطاً منظماً ممتدة على شاطىء المحيط الاطلانطيكي . وكان عدد سكانها لايزيد عن المليوني نفس . وأما الآن فانها تعد من الدول القوية ذات النفوذ والسطوة والجبروت ويبلغ عدد سكانها ١٢٠ مليون نفس وتشغل قارة أمريكا الشمالية من المحيط الاطلانطيكي حتى المحيط الهادي ومن كندا الى خليج المكسيك

ولم تلحظ انكلترا اذ ذاك القوة والنشاط المستكنين في نفوس المستعمرين . ولما احتج هؤلاء على الضرائب الثقيلة التي أربطت بها انكلترا كاهلهم قال أحد الوزراء الانكليز « نحن لانتساهل مع الامريكيين انهم الا اذ طلبوا منا احساناً والحبال معلقة في أعناقهم » ! . . . . . (١)

ولو كان العاهل البريطاني في ذلك العهد « انكليزياً » يجري في عروقه الدم السكسوني لكان التاريخ العام غير ماهو عليه اليوم . ولكن زمام الحكم كان وقتئذ في قبضة جورج الثالث (الالماني) الذي رضع مع أسلافه الالمان حب أزدراء الناس وسلبهم حريتهم بخلاف (الانجلوسكسونيين) الذين بفطرتهم يميلون الى العدالة ويقدسون الحرية . وعلى ذلك فقد كان ينظر الى مستعمري أميركا كبقرة حلوب يحلبها كلما أراد لاملاء خزينة التاج البريطاني بأموالهم أضف الى ذلك انه أبعد من حوله الموظفين ذوي الوجدان الشريف واتخذ وزراءه من أشخاص يكرهون الحرية كما يكرهها هو نفسه ! . . . . .

---

(١) نشاء الاميركيون احراراً أباة الضيم منذ تكوين بلادهم من القرن السابع الميلادي وبينهم من لجأوا اليها تخلصاً من الاضطهادات الدينية والسياسية في اوروبا وفي انجلترا نفسها على عهد « كرمويل » وأسرة « ستوارت » فلم تكن سوء معاملة انكلترا لهم الا ضغثاً على ابالة .

ان الاميركان بعد أن أشهروا السلاح فى وجه انكلترا لم يكونوا يقصدون الانسلاخ عنها لانهم اتما حاربوا عملا بالمبدأ الانكليزي القديم القائل : « بأن لاضرائب بدون رضاء الناس المفروضة عليهم الضرائب » . ومن المعلوم انه ـ بعد انتهاء الحرب الفروس التي نشبت بين انكلترا وفرنسا في اميركا سنة ١٧٥٦ وانتهت عام ١٧٦٣ بضم كندا الى الاملاك الانكليزية ـ قرر الانكليز استيفاء دين الحكومة البالغ ستمائة مليون دولار من المستعمرين الاميركان لانه تضخم بسبب الحرب التي حاربتها انكلترا فى أميركا . ويحتمل ان الاميركيين كانوا يقبلون تحمله ودفعه ولكن انكلترا وضعته في شكل غير معقول مما دعا الى اضطراب المستعمرين واشمئزازهم ذلك أنها أنشأت لجبايته واستيفائه اوراق تمغة رسمية خاصة . ولما استحال عليها تنفيذ هذه الخطة وضعت رسوماً جركية باهظة على الحاجيات الاولية الواردة لاميركا كالزجاج والورق والشاي وغيرها من المواد الضرورية . واذ ذاك فكر المستعمرون وتساءلوا : « هل يحق لانكلترا أن تضرب علينا هذه الضرائب الباهظة العائدة بالنفع لخزينتها خاصة ؟ » واجتمع للتباحث في هذا الامر (مندوبو المستعمرات) في نيويورك . وأصدر المجتمعون قرارهم بكلمة واحدة وهي « لا » وأرسلوا الى ملك الانكليز بلاغاً قالوا فيه : « أنه لايجوز لانكلترا أن تضع على المستعمرين ضرائب تعود بالنفع على الخزينة الانكليزية . وفوق هذا فانه لايوجد في البرلمان الانكليزى مندوبون يدافعون عن الاميركان وان انكلترا لاتسمح بانتخاب أعضاء من أميركا للبرلمان الانكليزى » (١) ولم يعر الملك جورج وحكومته هذه الرسالة جانب الالتفات بل عدوها قصاصات ورق ألقوها فى سلة سقط المتاع وصمموا على جباية الضرائب بالطرق القهرية . وحينئذ خرج الاميركان من حيز الكلام الى قوة العمل . وأول ماقاموا به أنهم منعوا السفن الانكليزية القادمة الى نيويورك وفيلادلفيا من تفريغ شحنها من الشاي وغيره

(١) كان للاميركان مجلس نيابي مختص بالنظر فى امورهم الداخلية بما فيها مسألة الضرائب دون أى تدخل فى ذلك من الحكومة الانجليزية ولا من ممثليها الرسميين فى شؤون الاميركان . ولكن كان لتدخلها سبب ذكرناه فى سياق هذه المقالة وهو عجز التاج البريطانى عن وفاء ديونه المالية .

وأرغموها على العودة من حيث أتت . وفى بوسطن ارتدى الاميركيون لباس الهنود وصعدوا الى سفينة انكليزية وطرحوا شحنها في البحر . وارغموا تاجراً في مدينة «أنابوليس» ان يحرق بنفسه سفينة له مشحونة شاياً ! . . . . .

حدث كل ماتقدم عام ١٧٧٣ واما الوقائع الحربية فقد ابتدأت عام ١٧٧٥ فقط عند ماصدرت الاوامر للجنود الانكليزية في بوسطن بالقبض على زعيمي الثورة في «ماساتشوسيت» وهما صموئيل آدمز وجون هنكوك . فتسلح المستعمرون بالبنادق وبعد معركة عنيفة اضطرت الجنود الانكليزية الى التقهقر لبوسطن ولقد اضرمت هذه المعارك نيران الثورة في كل مكان وارسل المستعمرون مندوبين الى فيلادلفيا لتنظيم الحرب ضد انكلترا وهناك اختاروا « جورج واشنطون » قائداً عاماً . وعند توليه القيادة العامة قال « أنني أقاوم فكرة الانفصال عن انكلترا » وكان اكثر الاميركيين على هذا الرأى وكانوا ينظرون الى خصامهم مع انكلترا نظرهم الى مسألة عائلية . وبعبارة أخرى ان « البنت » هبّت تقاوم « أمها » الشريرة الغاصبة دون ان تفكر بقطع صلات القربى الجارية فى العروق . وأنما كانت ترجو ان تلك « الام » تصلح غلطاتها وتعود الى صوابها . ولكن « الام » انكلترا كانت متمثلة فى ذلك العهد بشخص « جورج الثالث » وقد كان بعيداً عن التعقل والرزانة حتى انه لم يكلف نفسه قراءة رسائل المؤتمرين الأميركان الذين ـ كرمايا له ـ عرضوا عليه مطالبهم العادلة . ولما لم يستطع تجنيد الجنود من انكلترا استأجر جنوداً من أمير « هايسنت » ليخضع بها المستعمرين الثائرين . ان تصرف الملك هذا الشنيع برد احساسات «البنت» أميركا فقامت قومة واحدة ووزعت ألوف المنشورات في البلاد ضد الملك وانكلترا . ومع هذا فان المؤتمر لم يقرر طلب الاستقلال والانسلاخ عن انكلترا الا بعد سنة من نشوب الحرب . وقد صادف هذا الطلب قبولا من جميع ممثلي المستعمرات . ودعي حينئذ « طمس جيفيرسون » قلم حرب الحرية تمييزاً له عن «جورج واشنطون» الذي لقب بسيف الحرية . وقد عهدت البلاد اليهما كتابة اعلان الاستقلال . (١)

---

(١) قلما ذكر التاريخ حادثة مثل هذه . والمهم فيها ان المستعمرات الاميركية تمكنت من الاتحاد ضد العدو المشترك فى حين انها كانت بمعزل بعضها عن بعض

وفي ٤ يوليو (تموز) عام ١٧٧٦ وافق المؤتمر عليه باجماع الاصوات ضد ٣ ومن هذا اليوم دخلت الولايات المتحدة سلك الدول المستقلة . وقد احتفلت من عهد قريب بذكرى هذا اليوم فى أميركا وفي جميع البلاد الموجود فيها أميركيون . أما في سائر انحاء اميركا فقد قوبل اعلان الاستقلال بالاستحسان غير أن الاهالى قدروا المتاعب الجمة التي تنتظرهم في مقاومة انكلترا لانها كان لها أنصار عديدون بين الثائرين. ثم ان المؤتمر الاميركي لم يعد المال الكافي والوسائط الفعالة لمحاربتها مدة طويلة فضلا عن انه قد ظهرت بين المحاربين الأميركان خلافات حزبية اذ لم يكن لديهم اسطول

جورج واشنطون يجتاز النهر وهو متجلد

ولا جيوش مدربة ولم يستطيعوا ان ينتصروا انتصاراً باهراً على اعدائهم ومما زاد الطين بلة ان الاسطول الانكليزي رسا فى مينا نيويورك وعليه ٢٥٠٠٠ جندي. على ان كل هذه المصاعب والحوائل لم تفت في عضد الرجال المستعمرين ولم توهن عزائمهم فبدأ « جورج واشنطون » بجند الجنود من المستعمرات وسافر « بنيامين فرانكلين » الى فرنسا ليحرض حكومتها على مساعدة بلاده في محاربتها انكلترا . ولم تتكلل مجهوداته بالنجاح أولا ولكنه تمكن من تجنيد عدد من المتطوعين الفرنسيين

لا تجمعها غير صلة الجوار الطبيعية

والالمان والبولونيين وبينهم عدد من الضباط حاربوا جميعهم تحت قيادة « جورج واشنطون » وكثيرون منهم مثل « لافايت . وفون شتين . وكوسشيوشكو » أبدوا بسالة فائقة وقاموا بمساعدة كبرى لامريكا .

اعترفت فرنسا باستقلال الولايات المتحدة عام ١٧٧٧ حالما استطاع الاميركيون أسر الأسطول الانكليزي عند ساراتوغا بالقرب من نيويورك وما كادت فرنسا تشترك في الحرب بصفة حليفة حتى تحسنت حالة الاميركان تحسناً محسوساً ووجدت انكلترا نفسها أمام عدو يعادلها قوة واقتداراً وبطشاً ومع هذا فقد ظل النصر محالفاً لانكلترا حتى عام ١٧٨١ وانكسر الاميركان عدة انكسارات شديدة . ولكن بمجرد ان وصلت الجنود الفرنسيه المدربة والاسطول الفرنسي القوي تشددت عزائم « واشنطون » وزحف على رأس تلك الجيوش الى يوركتاون (في مقاطعة فرجينيا) حيث أرغم القائد الانكليزي « كورن ولس » على التسليم واسر مع جميع جنوده . ان هذه الموقعة الكبرى وضعت حداً للحرب الانكليزية الاميركية ولكن الصلح لم يعقد الا بعد عامين .

وفي ٣ سبتمبر (ايلول) ١٧٨٣ جرت المقابلة الاولى بين الملك جورج والسفير جون آدامس اول سفير اميركي في بريطانيا فحياه جلالته بالكلمات الآتية : « انني بفؤاد مفعم بالاخلاص والطهر اقول لكم أني كنت آخر من وافق على استقلال بلادكم . ولكنني اليوم أول من مد للولايات المتحدة يد الصداقة والاخاء اذ لم يكن في الامكان تجنب ما حدث . »

ولو أن جلالته فكر في هذا الامر ملياً قبل ذلك بعشر سنين لبقيت الولايات المتحدة الى اليوم تحت سلطانه ! والله أعلم .